

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الصورة الشعرية عند الجواهري

أطروحة مقدمة إلى

مجلس كلية الآداب / الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات
نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

من قبل

رفل حسن طه الطائي

بإشراف

الأستاذ الدكتور سمير كاظم الخليل

٢٠٠٧م

١٤٢٨هـ

خاتمة البحث ونتائجه

لقد حاول هذا البحث التركيز على دراسة الصورة الشعرية لدى الجواهري بأبعادها ومفاصلها كافة كياناً فنياً يعتمد تجسيد المعاني والتصورات كما يحب خيال الشاعر أن يعرضها فيلبسها ثوب الوضوح حيناً والغموض أو الإبهام أحياناً أخرى، عاكساً من خلالها الجوانب النفسية التي يريد التعبير عنها بأسلوب غير مباشر، وبطاقة انفعالية تمنح الصورة بعداً إيحائياً ونفسياً مناسباً.

وفي أثناء خوضنا في ذلك الموضوع المهم كان من البديهي التوصل إلى بعض الاستنتاجات التي تمخض عنها البحث، وبيان مدى استجابة الشاعر لمتطلبات العصر من خلال الصورة الشعرية التي عكست جوانب متعددة منه على الرغم مما يعتري ذلك الإنجاز أحياناً من ضعف يتعرض له أيّ شاعر، ومن أهم تلك الاستنتاجات:

- لقد احتلت الصورة الشعرية عند الجواهري مدى واسعاً وبارزاً في أسلوبه الفني في قصائده الشعرية. إذ اعتمد عليها كثيراً، وعبر من خلالها عن القضايا المهمة التي عالجه بأسلوب فني متميز كانت الصورة المحور الرئيس الذي حدّد أبعاد تلك التجارب ومضامينها العامة والخاصة.

- لقد انصهرت ذات الجواهري بالأفكار والمضامين التي قدمها على شكل صور شعرية، مخرجاً إياها في قوالب تحمل ملامح الجدة والحداثة، على الرغم من تقيده والتزامه بالنظام الشعري القديم (القصائد ذات الشطرين)، وهذا ما ساهم في إدراجه ضمن مجموعة شعراء (الكلاسيكية الحديثة) إن صح التعبير، وإخراجه من دائرة الجمود والتقليد.

- لقد اعتمد الجواهري في نسج صورته الشعرية مجموعة من الروافد العامة والخاصة التي أدرج ضمنها ولعه بالقديم واعتزازه الكبير به، وعدّه المصدر الأساس الذي يجب أن لا يتخلى عنه أيّ شاعر يحاول خدمة مجتمعه ومعالجة عيوبه ونقائصه. ولم تكن الغاية الاجتماعية هي الوحيدة التي تحدو بالشاعر إلى توظيف الموروث وإنما تحقيق المقدرّة على ممازجة الحاضر بالماضي والخروج بالصورة إلى دائرة التأثير والإيحاء.

والذي يلاحظ على الجواهري في هذا الخصوص اعتماده على المعطى التراثي العربي، والابتعاد -ليس بشكل كلي- عن الموروث العالمي لم ير فيه الفائدة المتوخاة من مزج الحاضر بالماضي واستخلاص التجارب والعبر منهما. ولعل السبب في ذلك يعود إلى شدة تمسكه بالقديم وعده الأنموذج الأعلى للكتابة الشعرية.

أما الروافد الأخرى التي من أهمها (الواقع والطبيعة)، فقد تدخل الجانب النفسي في تصويرهما. وذلك بالتمازج الحي مع معطيات الواقع، وتوظيف مظاهر الطبيعة بشقيها الجامد والمتحرك للتعبير عن خلجات النفس، واعطائها ثوباً آخر غير الذي عرفت به.

- لقد حقق الجواهري فاعلية الصورة الشعرية ودورها الكبير في البناء الشعري العام كما ينظر إليها النقاد المحدثون الذين نادوا بضرورة اعتماد العامل النفسي وإظهاره في أثناء تشكيل الصورة ورسمها. فهو يعدّ عاملاً رئيساً يدخل في بناء الصورة، ويوحد الشاعر من خلاله العناصر الأخرى التي تدخل في تشكيل القصيدة بشكلها العام. والملاحظ على صور الجواهري الشعرية أنها تزداد قوة وألقاً وفاعلية كلما ازدادت الفورة النفسية لديه. فالصورة عنده تكبر وتتعاظم وتعطي أثراً أعمق كلما أوغل في عكس ما هو عليه من تأزم نفسي وعاطفي كبير. إذ أصبح العامل النفسي لديه المحرك الديناميكي الفاعل لأكثر صورته الشعرية روعة وإثارة.

- لقد تمكن الجواهري بشكل كبير من كثير من الوسائل التي تدخل في بناء الصورة الشعرية لديه. وعلى الرغم من أنّ بعض تلك الوسائل تدخل ضمن اعتماد النقاد القدماء عليها أساساً قوياً أو يكاد يكون وحيداً في رسم الصورة لدى الشعراء، وأهم تلك العناصر التشبيه والاستعارة، إلا أن الجواهري قد نجح نجاحاً كبيراً في الخروج بهما عن دائرة التقييد والتضييق، إلى دائرة أوسع وأشمل كما حصل معه في أثناء توظيفه لعنصر التشبيه الذي تعامل معه بأسلوب خاص ولافت للنظر، حينما جعله أساساً في تشكيل لوحات متكاملة تكاد أن تصل أحياناً إلى اعتماد القصيدة بأغلب مقاطعها عليه كما حصل معه في قصيدة (ظلام) ليعكس ذلك العنصر جانباً مهماً من الجوانب النفسية المعتمدة التي مرّ بها الشاعر.

- لقد خضعت بعض العناصر الأخرى التي تتدرج ضمن بنية المجاورة وأهمها الرمز والمفارقة إلى سطوة الشاعر التخيلية التي مكنته من معالجة معطيات الواقع المعاش بأسلوب غير مباشر اعتمد عنصر الإيحاء الذي يعدّ أساساً في شعرية النص. فقد عالج أو حاول معالجة كثير من تلك الموضوعات عن طريق الرمز تارة وعن طريق المفارقة الشعرية التي احتلت جانباً غير يسير من معالجاته ولكن بأسلوب تشيع فيه السخرية والتهكم أكثر من غيرها تارة أخرى.

- لقد أدرك الشاعر أهمية الصورة المفردة وخطورتها في التشكيل أو البناء الشعري، فاحتلت عنده مكاناً بارزاً لم تكن لتؤدي دورها فيه لولا تآزرها والتحاقها بغيرها من الصور المفردة بغية الولوج إلى عالم أوسع مجالاً، وأرحب أفقاً، يتم فيه استكمال اللوحة الفنية أو النفسية في نسيج أوسع اشتملت عليه الصور المركبة أو الكلية.

- أسهم إيمان الجواهري بوحدة الموضوع في القصيدة الشعرية في اعتماده الكبير على بناء الصورة الكلية بمعمارية خاصة تشمل لوحات كبيرة أو قصائد كاملة تستوعب التجارب العميقة والموسعة التي ينوي الشاعر التعبير عنها بجميع تفاصيلها وأبعادها الموضوعية والفنية، وتوفير قدر أكبر للطاقة الانفعالية التي لم تكن لتستوعبها الصور البسيطة أو المقتضبة.

- إن انفتاح ذهن الجواهري على قضايا الأمة العربية وكثير من البلدان الأجنبية التي قصدها وافداً تارة وهارباً تارة أخرى قد ساهم في امتداد الرؤيا لديه والإفادة من تجاري الآخرين في التحرر والإنعتاق من رق العبودية التي يخضع لها الكثير، وقد ساهم ذلك أيضاً في امتداد الصورة لديه لتستوعب التجارب التي يريد طرحها ومعالجتها، واحتدام اللغة الشعرية المتفجرة التي أوصلت كثيراً من قصائده وصوره إلى درجة الشهرة والخلود.

- لقد خضع الجواهري في نسج صورته الشعرية إلى قانون التطور أو النضج الفني الذي يخضع له أغلب الشعراء، حينما يتعمقون بالتجربة الشعرية، ويتوصلون إلى تحديد أبعادها بحكم اكتساب التجربة وطول المران وبعد النظر الذي يمتلكهم. وهذا ما يمنح

كثيراً من قصائدهم وصورهم مستوى أعلى من النضج، وأكثر خصباً وفاعلية مما كانت عليه في السابق. فصور الجواهري الشعرية بدأت تأخذ حيّزاً أكثر عمقاً وإيحاءً من ذي قبل كلما تقدم به العمر، واتسعت تجاربه وهمومه وعلى وجه الخصوص في مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات وما بعدها من عمره الفني، إذ نلاحظ بروز بعض الأساليب التي تدل على ذلك النضج لديه كأسلوب تراسل الحواس الذي يتطلب من الشاعر بعداً تأويلياً وخيالياً أكثر مما قد يتطلبه غيره من الأساليب.

- لقد نجح الشاعر في توظيف الأسلوب القصصي أو السرد في بناء الصورة الكلية لديه، وقد ساهم ذلك التوظيف في عكس كثير من التجارب ذات الأبعاد المختلفة وزوايا النظر المتعددة التي لا يكفي تفصيلها أو عرضها غير الصورة الكلية، فضلاً عما لذلك الأسلوب من أثر كبير في المتلقي ومخيلته وذلك بتقريب الفكرة بأسلوب غير مباشر باعتمادها - غالباً - على الرمز الكلي أو العام الذي تتضوي تحته كوسيلة أو أداة موحية من أدوات التعبير.

- ولعل ذلك ما يحيلنا إلى أمر آخر على جانب كبير من الأهمية، وهو توظيف الشاعر للرمز في مجالات مختلفة تنصب فائدتها - في نهاية الأمر - في خدمة الصورة الشعرية لديه، إذ لم يستقل الرمز عنصراً بذاته بل انضوى تحت استعمالات أكبر كما أشرنا إلى توظيفه في بناء الصورة الكلية ضمن الأسلوب القصصي الذي يعدّ الرمز - أحياناً - غطاءً أو قناعاً له.

وكذلك في أسلوب المفارقة الشعرية الذي سبقت الإشارة إليه أيضاً، فضلاً عن توظيفه له في أثناء الحديث عن المعطيات التراثية المتعددة ومعالجتها من قبل الشاعر كالموروث الأدبي والديني والتأريخي والأسطوري، وغير ذلك من رموز شخصية.

وفي ختام بحثنا هذا نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم تصور معين ودراسة أكاديمية معمقة في أداة تعدّ من أهم أدوات الشاعر التي تميّز منه وتمنحه الطاقة والفاعلية في الاستمرار في خلق جوٍّ من التأثير بين نتاجه الشعري وصوره المؤثرة، وبين المتلقي الذي هو على استعداد دائم لتقبل كل ما هو جميل ومؤثر من أعمال شعرية

مشحونة بالعاطفة والخيال والفكر، وفي لغة شعرية احتوت كل ذلك بين جنبئها. وهذا ما
تلمسناه في صور الجواهري الشعرية التي عبرت عن هموم مجتمع بأكملة لمدة كادت
تقرب القرن من الزمان، ممتزجة بروحه المتمردة الفائقة الحساسة.
ومن الله سبحانه وتعالى السداد والتوفيق...

